PREMIUM E-JOURNAL OF SOCIAL SCIENCES
2687-5640

Received/ Makale Geliş	25.06.2023	10.5281/zenodo.8270730
Published / Yayınlanma	21.08.2023	*Araştırma Makalesi / Research Article*
Volume/ Cilt (Issue/ Sayı)	7 (33)	ISSN: 2687-5640
ss / pp	763-776	editor@pejoss.com

محمد حياني
https://orcid.org/0000-0002-5916-7716
حاصل على الدكتوراه من جامعة كربوك - تركيا

التَّصوُّف مُلازِمٌ للشَّرِيعَة

Sufism is Inherent to the Law

مُلخَّص

تأتي أهمية البحث لتوضيح مفهوم التَّصوُّف للقارئ، والحديث عن أوَّل مراحل نشأته، وأنه امتداد للزهد في عصر النبي ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى، وإبطال دعوى أن التَّصوُّف بدعة سيئة لا أساس لها في الدِّين، وإثبات أن التَّصوُّف مصدره من الكتاب والسنَّة، وأن الحقيقة عند الصُّوفيَّة لا تنفصل عن الشَّريعة. وقد اشتمل البحث على مقدِّمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: تعريف التَّصوُّف لغةً واصطلاحاً

المبحث الثاني: أهميَّة التَّصوُّف

المبحث الثالث: نشأة التَّصوُّف

المبحث الرابع: الحقيقة لا تنفصل عن الشَّريعة

الكلمات المفتاحية: التَّصوُّف، الشَّريعة، الحقيقة.

ABSTRACT

The importance of the research comes to clarify the concept of Sufism to the reader, and to talk about the early stages of its emergence, and that it is an extension of asceticism in the era of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, and the Companions, may God be pleased with them, and the followers, may God Almighty have mercy on them, and invalidate the claim that Sufism is a bad heresy that has no basis in religion, and prove that the Sufism's source is from the Book and the Sunnah And that the truth, according to Sufism, is inseparable from the Sharia. The research included an introduction, four topics and a conclusion:

The first topic: defining Sufism linguistically and idiomatically

The second topic: the importance of Sufism

The third topic: the emergence of Sufism

The fourth topic: the truth is inseparable from the Sharia

Keywords: Sufism, Sharia, truth.

مقدمّة

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد:

فقد أكرمنا الله تعالى بدين الإسلام، وأرسل إلينا سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ليعلمنا مبادئ الدِّين ويرقينا في مدارج الكمال، بدءاً من أركان الإسلام ثم الإيمان ليصل بنا إلى مقام الإحسان.

ومنذ أن أرسل الله تعالى نبينا ﷺ للدعوة كان له أعداءاً يحاولون أن يطعنوا بالدِّين، وهذا الصراع بين الحق والباطل مستمر إلى قيام الساعة. فأعداء الإسلام يكيدون له المكائد ويحاربونه بالسر والجهر، وقد نالوا من التَّصوُّف لأنه أعلى المراتب في الدِّين وهو مقام الإحسان. "فالإسلام ظاهر والإيمان ظاهر وباطن والإحسان حقيقة الظاهر والباطن"[1].

فالتَّصوُّف هو روح الدِّين وسرُّ حياته وأحد أركانه الثلاثة. فهو يرسم الطريق ويضع المنهج ليصل بالمسلم إلى أعلى درجات الكمال عقيدة وعبادة وسلوكا، وذلك من خلال تطهير القلب وتزكية النفس، لذلك نال من سهام الأعداء الحظ الأوفر.

وإذا كنَّا اليوم نجد ضعفا في حال المسلمين وتمزُّقا في وحدتهم وبعدهم عن تعاليم دينهم، فإن مرجع ذلك هو ابتعادهم عن روح الدِّين وحقيقته، واكتفائهم بالانتساب الشكلي والولاء الاسمي للإسلام، فقد اكتفوا بمظاهر الدِّين وقشوره، وابتعدوا عن حقيقته ولُبِّه، وما ذلك إلا بسبب حملات التضليل التي لعبها أعداء التَّصوُّف لإبعاد الناس عن حقيقة هذا الدِّين.

[1] الطوسي، اللمع، ص22.

ولا غرابة من أن ينال التَّصوُّف هذا العِداء، لأنه جوهر الإسلام وقلبه النابض وحقيقة حياته وروحه، ولكنَّ المصيبة أن يقف بعض المسلمين موقف العِداء فيسلّوا سيوفهم ويشحذوا خناجرهم ويوجّهوا سهامهم، مُدَّعين محاربة البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم في حقيقة الأمر ينهون عن المعروف عندما يشوّهوا حقيقة التَّصوُّف ويُحذِّروا وينفِّروا الناس منه.

ويمكن القول بأنَّ الَّذين اتخذوا موقف العداء من التَّصوُّف قسمان:

1- القسم الأول: هم أعداء الدِّين الَّذين أعلنوا الحرب والعِداء على الإسلام حقداً وعداوة متأصِّلة، منهم الكافرون والمنافقون والمستشرقون، الَّذين درسوا الإسلام بدقَّة، وقرؤوا القرآن والسنة ليس بقصد سلوك طريق الهداية، ولكن بحثوا في دقائقه ليصلوا إلى سرِّ قوته وحياته، فوجدوا أن التَّصوُّف هو روح الإسلام وقلبه النابض فأخذوا يتَّهمون رجاله بالكفر والحلول، وينسبون هذا العلم للشرائع الأخرى كاليهودية والنصرانية والبوذية... ويحاولون افتراءاً أن يقارنوا ويظهروا وجه الشَّبه بينه وبين غيره من تلك الاعتقادات.

2- القسم الثاني: وهم قسم جهلوا حقيقة التَّصوُّف فحكموا عليه عن جهل وظلم. وهم فئات:

أ- فئة قد تأثَّروا بأعداء الله تعالى من الكفرة والمستشرقين، فتبنَّوا آرائهم وتشرَّبوا ثقافتم، فراحوا يردِّدون ما يسمعون منهم دون تحقيق وتمحيص، وكأنَّهم نسوا أو تناسوا بأن أعداء الله تعالى ليسوا بمؤتمنين على دين الله تعالى حتى ينقلوا لنا الصورة الصحيحة عن التَّصوُّف.

ب- فئة خُدِعوا بما قرؤوه في بعض كُتب الصُّوفيَّة، مما يُنسب إليهم وهو مدسوس عليهم، وهم بريؤون منه كل البراءة، فتعلَّقوا بتلك الافتراءات وحكموا على التَّصوُّف من خلالها.

ج- فئة قرؤوا في كتب التَّصوُّف بعض العبارات ففهموها على غير المراد منها وفسَّروها بتفسيرات لا توافق الشَّريعة، جهلاً منهم دون أن يرجِعوا إلى كلام أهل العلم الَّذين وضَّحوا الغامِض والمُشكل في تلك العبارات.

د- فئة قد حكموا على التَّصوُّف من خلال أشخاص دُخلاء مُنحرفين، نسبوا أنفسهم للتَّصوُّف ولم يعرفوا حقيقته، لأنهم لم يأخذوه عن أهله، ولا وقفوا على مصادره، ولا شربوا من منابعه، فأخطؤوا في الفهم والتقدير، وضلُّوا السبيل، ووقعوا في حبال الأوهام، وشوَّهوا صورة هذا العلم، فضلُّوا وأضلُّوا.

قال سهل التستري: "احذر صحبة ثلاثة من أصناف الناس، الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والصُّوفيَّة الجاهلين"[2].

ونحن إذ نتكلم فإنما نتكلم عن الصُّوفيَّة الحقَّة، وليس عن الَّذين ادَّعوا التَّصوُّف عن جهل فأحدثوا فيه ما ليس منه، وابتدعوا فيه ألوانا من الضَّلالات والانحرافات.

المبحث الأول: تعريف التَّصوُّف لغة واصطلاحاً

التَّصوُّف لُغة

اختلف العلماء في أصل هذه الكلمة، فذهب بعضهم إلى أنها جامدة، وذهب البعض إلى أنها مشتقة.

الرأي الأول: أنها جامدة، وقال بذلك:

1- القشيري[3] فقد قال: "هذه التسمية غلبت عَلَى هذه الطائفة فيقال: رجلٌ صوفي، وللجَّماعة صوفية، ومن يتوصل إِلَى ذَلِكَ يقال لَهُ: متصوّف، وللجماعة: المتصوّفة، وليس يشهد لِهَذَا الاسم من حيث العربيَّة قياسٌ أو اشتقاق والأظهر فِيهِ أَنَّهُ كاللقب"[4].

2- الفيومي[5] حيث قال: وَتَصَوَّفَ الرَّجُلُ وَهُوَ صُوفِيٌّ مِنْ قَوْمٍ صُوفِيَّةٍ كَلِمَةٌ مُوَلَّدَةٌ[6]"[7].

الرأي الثاني: الَّذين قالوا بأنها مشتقة، ذكروا الكلمات التي اشتُقت منها وأهم هذه الأقوال:

1- قيل إنها مشتقَّة من (الصُّوف): لأن الصُّوف كان لباس الزُّهاد العبَّاد، ويؤكِّد هذا الحسن البصري[8] في قوله: "لقد أدركت سبعين بدرياً كان لباسهم الصُّوف"[9].

واختار الطوسي[10] نسبتهم إلى ظاهر اللباس، لأن لبس الصُّوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصدِّيقين وشعار المتنسِّكين[11] واختاره الكلاباذي[12] ورجَّحه السهروردي[13] لأنه ملائم ومناسب من حيث الاشتقاق، فيقال تصوف إذا لبس الصُّوف، كما يقال تقمَّص إذا لبس القميص.[14]

---

[2] ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، 94/4.

[3] الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري، أحد مشاهير الدنيا بالفضل والعلم والزهد، شيخ الْمَشَايِخ وأستاذ الصُّوفيَّة، من أشهر كتبة الرسالة القشيرية، توفى بنيسابور في سنة 465هـ. يُنظر: السمعاني، الأنساب 427/10. ابن العماد، شذرات الذهب، 275/5.

[4] القشيري، الرسالة القشيرية، 440/2.

[5] أَحْمد بن مُحَمَّد الفيومي ثمَّ الْحَمَويّ كان فَاضلا عَارفًا باللغة وَالْفِقْه، صنَّف فِي ذَلِك كتابا سَمَّاهُ الْمِصْبَاح الْمُنِير فِي غَرِيب الشَّرْح الْكَبِير، وَهُوَ كثير الْفَائِدَة حسن الْإِيرَاد، توفي سنة 770هـ. يُنظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، 372/1.

[6] مُوَلَّدة: أي ليست عربية الأصل. قال ابن منظور: "المُوَلَّد مِنَ الْكَلَامِ مُوَلَّداً إذا اسْتَحْدَثُوهُ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كَلَامِهِمْ فِيمَا مَضَى". ابن منظور، لسان العرب، 469/3.

[7] الفيومي، المصباح المنير، 352/1.

[8] الإمام أبو الحسن البصري، يكنى أبا سعيد، وكان أبوه من أهل بيسان فسبي فهو مولى الأنصار، ولد في خلافة عمر وحنَّكه عمر بيده، وكانت أمُّه تخدم أم سلمة زوج النبي ﷺ، فربَّما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها فيشربه. فكانوا يقولون: فصاحته من بركة ذلك، توفي سنة 110هـ، ينظر: ابن خياط، الطبقات، ص360. الأصبهاني، حلية الأولياء، 131/2. ابن الجوزي، صفوة الصفوة، 137/2.الذهبي، سير أعلام النبلاء، 563/4.

[9] أبو نعيم، حلية الأولياء، 134/2.

[10] أبو نصر السرّاج، عبد الله بن علي الطُّوسي الزاهد، شيخ الصُّوفيَّة، وصاحب كتاب "اللُّمع في التصوف" توفي سنة 378هـ. ينظر: الذهبي، العبر في خبر من غبر، 151/1. ابن العماد، شذرات الذهب، 413/4.

[11] الطوسي، اللمع، ص 41.

[12] الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 23.

فهذا القول له وجه من حيث اللُّغة العربية، إلا أنَّ أهل هذا الفن لم يخصُّوا بهذا الاسم لابس الصُّوف[15].

2- وقيل بأنها مشتقة من (الصُّوفة): لأنه مع الله تعالى كالصُّوفة المطروحة لا تدبير لها[16].

3- أنها مشتقة من (الصَّف): لأنهم في الصف الأوَّل بين يدي الله عز وجل لارتفاع هممهم، وإقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بين يديه[17]. ولكن لو أنها مشتقة من الصَّف لكانت النسبة هي صَفِّي وليست صُوفي[18].

4- أنها منسوبة لأهل (الصُفَّة): وهم جماعة من فقراء الصحابة المهاجرين، يبيتون في مسجد رسول الله ﷺ، يُداومون على العبادة، سمُّوا بذلك لقُرب أوصافهم من أَوْصَاف أهل الصُّفَّة[19].

وهذا اللفظ قريب من حيث المعنى، بعيد من حيث اللُّغة؛ فإن النسبة إلى الصُفَّة: صُفِّي[20].

5- وقيل إنها من (الصَفَاء): لصفاء أسرارهم ونقاء آثارهم[21]. فالصُّوفي هو مَن صَفا قلبُه لله تعالى، وهذا الاشتقاق بعيدٌ من حيث اللُّغة لأن النِّسبة الى الصفاء صَفَائي[22]. وصُحِّح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي[23]:

تنازع الناس في الصُّوفي واختلفوا وظنَّه البعض مُشتقاً من الصُّوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صفا فصوفي حتى سُمِّي الصُّوفي[24]

التَّصوُّف اصطلاحاً

للتصوف تعريفات كثيرة عند العلماء، وذلك بسبب اختلافهم في الأذواق والأحوال والمقامات التي كانوا عليها، فهو عِلم وجداني، وهذا الاختلاف في التعريف ليس من باب التناقض والاضطراب، فكلٌّ عبَّر بحسب الحال والمقام الذي كان فيه. كما قال القشيري: "فَكُلٌّ عبَّر بِمَا وقع لَهُ"[25]. والأقوال في ماهيَّة التَّصوُّف تزيد على ألف قول[26]، قال أحمد زرُّوق[27]: "قد حُدَّ التَّصوُّف ورُسم وفسِّر بوجوه تبلغ الألفين، مرجعها كله لصدق التوجه، إلى الله تعالى، وإنما هي وجوه فيه، والله أعلم"[28].

فمنهم من تناول مفهوم التَّصوُّف بمعنى الزهد، ومنهم بمعنى الأخلاق، وعرَّفه البعض بمعنى الصفاء، ومنهم تناوله بمعنى العبودية التامة والتسليم المطلق لله سبحانه، وآخرون بمعنى التزام الشَّريعة، ونختار من هذه المفاهيم بعض التعريفات:

- التَّصوُّف بمعنى الزهد

قَالَ معروف الكرخي[29] : "التَّصوُّف الأخذ بالحقائق واليأس مِمَّا فِي أيدي الخلائق"[30].

وقال ذو النون المصري[31] : "الصُّوفي من لا يتعبه طلب، ولا يزعجه سلب"[32].

وسُئل سمنون[33] عَنِ التَّصوُّف فَقَالَ: "أَن لا تملك شَيْئًا ولا يملكُك شَيْء"[34].

وقال رُوَيم[35]: "التَّصوُّف مبني عَلَى ثَلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار"[36].

---

[13] أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري الملقب شهاب الدين السهروردي يعود نسبه إلى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، كان فقيهاً شافعي المذهب شيخاً صالحاً ورعاً كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة وتخرج عليه خلق كثير من الصُّوفيَّة في المجاهدة والخلوة، توفي سنة 632هـ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 446/3. الذهبي، العبر في أخبار من غبر، 213/3. السبكي، طبقات الشافعية، 338/8. ابن العماد، شذرات الذهب، 268/7.

[14] السهروردي، عوارف المعارف، ص 71.

[15] الرازي، حدائق الحقائق، ص 169.

[16] زروق، قواعد التصوف، ص 24.

[17] السهروردي، عوارف المعارف، ص 72.

[18] الرازي حدائق الحقائق، ص 70.

[19] السهروردي، عوارف المعارف، ص 72. الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 21.

[20] الرازي، حدائق الحقائق، ص 69. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 6/11.

[21] الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 21.

[22] القشيري، الرسالة القشيرية، 440/2. الرازي، حدائق الحقائق، ص70.

[23] أبو الفتح علي بن محمد، كاتب وشاعر، وأديب زمانه، توفي سنة 401 هـ. ينظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، 345/4. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 147/17.

[24] زروق، قواعد التصوف، ص 24. عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، ص 20.

[25] القشيري، الرسالة القشيرية، 440/2.

[26] السهروردي، عوارف المعارف، ص 69.

[27] أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي المغربي الفاسي المالكي، المعروف بابن زرّوق الإمام العلّامة الصّوفي، مولده سنة 846 هـ وتوفي في صفر سنة 899 هـ بمسراطة من عمل طرابلس. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، 547/9. مخلوف، شجرة النور الزكية، 387/1.

[28] زروق، قواعد التصوف، ص 21.

[29] مَعْرُوف الْكَرْخِي وَهُوَ أَبُو مَحْفُوظ مَعْرُوف بن فَيْرُوز، وهو من جلة الْمَشَايِخ وقدمائهم المذكورين بالورع والفتوة، أحد مشاهير علم التصوف، كان إخوانه وأصحابه ومريديه يتبركون بلقائه ودعائه، كَانَ أستاذ سري السَّقَطِي، توفي ببغداد سنة 200هـ، وقبره بِبَغْدَاد ظَاهر، ينظر: السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص80. أبو نعيم، حلية الأولياء،360/8. ابن الجوزي، صفوة الصفوة، 472/1.

[30] القشيري، الرسالة القشيرية، 441/2.

[31] ذُو النُّون بن إِبْرَاهِيم الْمصْرِيّ أَبُو الْفَيْض، أحد مشايخ الطريق المذكورين في رسالة القشيري، وحدث عن مالك والليث وابن لهيعة، روى عنه الجنيد وآخرون. وقد قارب التسعين، كان أهل مصر يسمونه الزنديق، فلما مات أظلت الطير الخضر جنازته ترفرف عليه إلى أن وصل إلى قبره، فلما دفن غابت، فاحترم أهل مصر بعد ذلك قبره، مات سنة 246هـ. ينظر: السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص 27، حلية الأولياء، أبو نعيم، 331/9، السيوطي، حسن المحاضرة، 511/1.

[32] السهروردي، عوارف المعارف، ص 67.

[33] سمنون بن حَمْزَة وَيُقَال سمنون بن عبد الله أَبُو الْحسن الْخَوَّاص وَيُقَال كنيته أَبُو الْقَاسِم، لُقب بالمحب لكثرة كلامه في المحبَّة، كان أحد مشايخ القوم ومن العباد المجتهدين، صحب السري السقطي، وسكن بغداد ومات قبل الجنيد، سمى نفسه سمنون الكذَّاب وكان سبب ذلك أبياته التي قال فيها: فليس لي في سواك حظ ... فكيف ما شئت فامتحني. فحُصر بوله من ساعته، فسمى نفسه سمنون الكذاب، مات ببغداد سنة 291هـ. ينظر: السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص 158. أبو نعيم، حلية الأولياء، 309/10.

[34] القشيري، الرسالة القشيرية، 441/2.

[35] رُوَيْم بن أَحْمد بن يزِيد كنيته أَبُو مُحَمَّد، وَهُوَ من أهل بَغْدَاد من جلة مشايخهم، وَكَانَ فَقِيها على مَذْهَب دَاوُد الْأَصْبَهَانِيّ وَكَانَ مقرئا، مات سنة 303هـ. ينظر، السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، 147، ابن الجوزي، صفوة الصفوة، 531/1.

[36] المصدر السابق.

- التَّصوُّف بمعنى حسن الخلق

قال أبو حفص[37] عن التَّصوُّف: "التَّصوُّف كلُّه آداب، لكل وقت أدب، ولكل حالة أدب، ولكل مقام أدب، فمن لـزم آداب الأوقات، بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيَّع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول"[38] وقال أيضا: "حسن أدب الظاهر، عنوان حسن أدب الباطن"[39].

وسؤل الجنيد[40] عن الصُّوفي فقال: "الصُّوفي كالأرض يُطرح عَلَيْهَا كُل قبيح ولا يخرج منها إلا كُل مليح"[41]. وقال أيضاً: "الصُّوفي كالأرض يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يُظل كل شيء ويسقي كل شيء"[42].

وعرَّفه أبو محمد الجريري[43] فقال: "التَّصوُّف الدخول في كل خُلق سني، والخروج من كل خلق دني"[44].

قال الكتاني[45]: "التَّصوُّف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التَّصوُّف"[46].

وقال الهروي[47]: "اجْتمعت كلمة الناطقين فِي هَذَا الْعلم أَن التَّصوُّف هُوَ الْخلق"[48].

- التَّصوُّف بمعنى تزكية النفس وصفاء القلب

قَالَ بشر بن الْحَارِث[49]: "الصُّوفي من صفا قلبه لله"[50].

وَسُئِلَ سهل بن عبد الله التستري[51] من الصُّوفي فَقَالَ: "من صفا من الكدر وامتلأ من الْفِكر وَانْقطع إِلَى الله من الْبشر واستوى عِنْده الذَّهَب والمدر"[52].

وعرَّف السهروردي الصُّوفي بقوله: "الصُّوفي هو الذي يكون دائم التصفية، ولا يزال يصفِّي الأوقات عن شوب الأكدار، بتصفية القلب عن شوب النفس، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فبدوام الافتقار ينقى من الكدر، وكلَّما تحرَّكت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصيرته النافذة، وفرَّ منها إلى ربِّه"[53].

وقال الشيخ أحمد زرُّوق في التَّصوُّف: "علم قُصد لإصلاح القلوب، وإفرادها لله عمَّا سواه"[54].

- التَّصوُّف بمعنى العبودية والافتقار والتسليم لله سبحانه

قال ذو النون المصري: "الصُّوفي من لا يُتعبه طلب، ولا يزعِجه سلب"[55].

وقال أيضاً: "الصُّوفيَّة آثروا الله تعالى على كل شيء، فآثرهم الله تعالى على كل شيء"[56].

قال رُوَيم: "التَّصوُّف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد"[57].

وقال أبو الحسن الشَّاذلي[58]: "التَّصوُّف تدريب النفس على العبودية وردها إلى أحكام الربوبية"[59].

---

[37] أَبُو حَفْص النَّيْسَابُوري واسْمه عَمْرو بن سَلَمَة، السلمي، صاحب أحوال وكرامات، وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور، وكان معروفا بزهده، توفي سنة 264هـ، ينظر: طبقات الصُّوفيَّة، 103، ابن الجوزي، صفوة الصفوة، 311/2، الذهبي، سير أعلام النبلاء، 510/12.

[38] السهروردي، عوارف المعارف، ص 65.

[39] المرجع السابق.

[40] الْجُنَيْد بن مُحَمَّد أَبُو الْقَاسِم الخزاز، وَكَانَ أَبوهُ يَبِيع الزّجاج فَلذَلِك كَانَ يُقَال لَهُ القواريري أَصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق، وَهُوَ من أَئِمَّة الْقَوْم وسادتهم، وهو شيخ الصُّوفيَّة ومَقْبُول على جَمِيع الْأَلْسِنَة، تفقّه على أبي ثور، وقيل: كان على مذهب سفيان الثوري، توفي سنة 297هـ. ينظر: السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص 129. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 66/14.

[41] القشيري، الرسالة القشيرية، 442/2. السهروردي، عوارف المعارف، ص 69.

[42] الرازي، حدائق المعارف، ص 71.

[43] أَبُو مُحَمَّد الْجريري، أَحْمد بن مُحَمَّد بن الْحُسَيْن، وَكَانَ من كبار أَصْحَاب الْجُنَيْد وَصَحب سهل بن عبد الله التستري، وَهُوَ من عُلَمَاء مَشَايِخ الْقَوْم، أقعد بعد الْجُنَيْد فِي مَجْلِسه لتَمام حَاله وَصِحَّة علمه، مات سنة 311هـ. ينظر: السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص 203. ابن الجوزي، صفة الصفوة، 534/1.

[44] الطوسي، اللمع، ص 26. للمراجعة، السهروردي، عوارف المعارف، ص65.

[45] مُحَمَّد بن عَليّ بن جَعْفَر الكتاني شَيْخ الصُّوفيَّة، وكنيته أَبُو بكر، أَصله من بَغْدَاد صحب الْجُنَيْد وَأَبا سعيد الخراز وَأَبا الْحُسَيْن النوري وَأَقَام بِمَكَّة مجاورا بهَا إِلَى أَن مَاتَ، مات سنة 322هـ. ينظر: السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص 23. الذهبي، سير أعلام النبلاء، 534/14.

[46] الغزالي، إحياء علوم الدين، 52/3.

[47] أبو إسماعيل الأنصاري، شيخ الإسلام، عبد الله بن محمد بن علي الهروي، الصّوفي القدوة الحنبلي الحافظ، أحد الأعلام، توفي سنة481هـ، وله ثمانون سنة وأشهر، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 503/18. ابن العماد، شذرات الذهب، 349/5.

[48] الهروي، منازل السائرين، ص 59.

[49] بشر بن الحارث الحافي، يكنى أبا نصر ولد في سنة خمسين ومائة، الزاهد الثقة القدوة، رحل في طلب العلم إلى مكة والكوفة والبصرة، غير أنه لم يتصدر للراوية فلم يضبط عنه من الحديث إلا اليسير، مات سنة 227هـ. ينظر: السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص 42. ابن الجوزي، صفوة الصفوة، 472/1.

[50] الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 21.

[51] سهل بن عبد الله التستري، كنيته أَبُو مُحَمَّد، أحد أَئِمَّة الْقَوْم وعلمائهم والمتكلمين فِي عُلُوم الرياضات وَالْإِخْلَاص وعيوب الْأَفْعَال، توفي سنة 283هـ، ينظر: السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص 166. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، 216/1.

[52] الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، ص 25. السهروردي، عوارف المعارف، ص 69.

[53] السهروردي، عوارف المعارف، ص 69.

[54] زروق، قواعد التصوف، ص 26.

[55] السهروردي، عوارف المعارف، ص 67.

[56] المرجع السابق.

[57] السهروردي، عوارف المعارف، ص 68.

[58] الشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية. تقي الدين علي بن عبد الله بن عبد الجبار، قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد: ما رأيت أعرف بالله من الشاذلي، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يحضر مجلسه، ويسمع كلامه، وهو مالكي المذهب، مات في ذي القعدة سنة656هـ، بصحراء عيذاب متوجها إلى مكة. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 829/14. السيوطي، حسن المحاضرة، 520/1.

[59] صقر، نور التحقيق، ص 98.

- التَّصوُّف بمعنى العمل بالشَّريعة

يقول الجنيد: "علمنا مضبوط بالكتاب والسُنَّة، من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث ولم يتفقه، لا يُقْتَدَى بِهِ"[60].

وكان يقول: "علمنا هذا- يعني علم التَّصوُّف- مشبَّك بِحَدِيثِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[61].

ويصف الغزالي[62] الصُّوفيَّة بأن: "جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يُستضاء به"[63].

- ورد تعريف التَّصوُّف بألفاظ أعم وبأكثر من معنى

يقول الغزالي عن هذا العلم: "هو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضي عند الله تعالى وما هو مكروه"[64].

وقالوا: "التَّصوُّف أوله علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة من الله تعالى"[65].

وَقُيل: "التَّصوُّف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك"[66].

ويرى الباحث تعريف التَّصوُّف بأنه: العمل بالشَّريعة ظاهراً وباطناً.

المبحث الثاني: أهمية التَّصوُّف

إن التكاليف الشرعية التي أمرنا الله تعالى بها من أوامر ونواهي ومباحات، منها ما يتعلق بالظَّاهر ويبدوا للنَّاظر، ومنها ما يخفى ويتعلَّق بالباطن وهو القلب.

وبعبارة أخرى، من الممكن أن نقسِّم تعلُّقات أحكام الشرع لقسمين: أحكام تتعلق بالجسد الظاهر، وأحكام تتعلق بالقلب الباطن. ولكلٍ منهما أوامر ونواه.

أما أوامر الجسد فمثالها: أركان الإسلام الخمس، والصدق والأمانة...

والنواهي مثالها: القتل والسرقة والكذب، وشرب الخمر والميسر...

وأما أوامر القلب فمثالها: أركان الإيمان الستة، والإخلاص والرضى والتوكل...

وأما نواهي القلب فمثالها: الكفر والنفاق والكبر والحسد والبغضاء والشُّح... وغيرها من الأمور المهلكات.

ولابدَّ من أعمال الظاهر والباطن، فلا يُغني بعضها عن بعض، ولكنَّ أعمال القلب هي الأساس، فالقلب هو موضع الإيمان وهو مصدر الأعمال الظاهرة، وسلوك الإنسان إنما ينبع عن النوايا التي تصدر عن القلب، لذلك كانت جميع الأعمال الظاهرة مرهونة بصلاح القلب الذي نبَّه النبي ﷺ إلى أهميته في الحديث فقال: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القلب"[67].

فالقلب هو محل نظر الرب سبحانه وتعالى، كما جاء في الحديث، عَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه، قال:

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا ينظر إلى صوركم وأموالكم. ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[68]. وبذلك يتعيَّن علينا أن نعتني بهذا القلب غاية الاعتناء فنُطهِّره بتخليته من الصفات الذميمة المُهلكة ونحلِّيه بالصفات الحسنة حتى يكون قلبا سليما نقيًّا فينجو بصاحبه يوم القيامة كما قال سبحانه: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ }[69].

فسلوك منهج التَّصوُّف أمر ضروري، لأنَّه بالأصل يعني العمل بالشَّريعة ظاهراً وباطناً، وهو فرض عيني، لذلك قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: "وَأَمَّا عِلْمُ الْقَلْبِ وَمَعْرِفَةُ أَمْرَاضِهِ مِنْ الْحَسَدِ، وَالْعُجْبِ، وَالرِّيَاءِ وَنَحْوِهَا، فَقَالَ الْغَزَالِيُّ: إنَّهَا فَرْضُ عَيْنٍ"[70].

إذاً التَّصوُّف ليس بعلم مبتدع في الدِّين بل هو في أصله مستمد من الوحي الإلهي، وقد سؤل السيد محمد صديق الغماري عن أوَّل من أسس التَّصوُّف فأجاب:

"أما أول من أسس الطريقة فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدِّين المحمدي، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدِّين، التي جعلها النبي ﷺ بعد ما بينها واحداً واحداً دينا بقوله: "هذا جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم"[71]. وهو الإسلام والإيمان والإحسان. فالإسلام طاعة وعبادة والإيمان نور وعقيدة، والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة:" أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[72]... فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة، فمن أخلَّ بهذا المقام (الإحسان) الذي هو

---

[60] البغدادي، تاريخ بغداد، 168/8.
[61] المرجع السابق، 251/7.
[62] الغَزَالِيُّ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدٍ الطُّوْسِيّ الشَّافِعِيّ، حجَّةُ الإِسْلاَم، وأَعجوبَة الزَّمَان، جَامع أشتات الْعُلُوم والمبرز فِي الْمَنْقُول مِنْهَا وَالْمَفْهُوم، لَازِمَ إِمَامَ الحَرَمَيْنِ، فَبَرع فِي الفِقْه فِي مُدَّة قَرِيْبَة، وَمَهَر فِي الكَلاَمِ وَالجَدَل، حَتَّى صَارَ عينَ المنَاظرِيْنَ، توفي سنة 505هـ. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 322/19.السبكي، طبقات الشافعية، 191/66.
[63] الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 178.
[64] الغزالي، إحياء علوم الدين، 17/1.
[65] السهروردي، عوارف المعارف، ص 68.
[66] السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص 258.
[67] البخاري، كتاب الإيمان، باب: فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، 28/1، ح 52.
مسلم، كتاب المساقاة، بَاب أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، 1219/3، ح 1599.
[68] مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذل، 1987/4، ح 2564.
[69] سورة الشعراء: 88-89.
[70] السيوطي، الأشباه والنظائر، ص 416.
[71] مسلم، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ الإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ وَالإِحْسَانِ، 36/1، ح 8.
[72] جزء من الحديث السابق.

الطريقة فدينه ناقص بلا شك، لتركه ركناً من أركانه، فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان، بعد تصحيح الإسلام والإيمان"[73].

فقد ورد في حديث جبريل عليه السلام تقسيم الدِّين إلى ثلاثة أركان: الإسلام والإيمان والإحسان.

1- الإسلام: وهو الجانب العملي، ويشتمل على العبادات والمعاملات ومحله أعضاء الجسم، لذلك هو ركن يتعلق بالظاهر والعيان، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشَّريعة، واختصَّ بدراسة هذا الركن علماء الفقه.

2- الإيمان: وهو الجانب الاعتقادي القلبي، وقد اختصَّ بدراسته علماء التوحيد.

3- الإحسان: قد جاء تعريفه في الحديث: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". وهو الجانب الروحي القلبي وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عِرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العماء على تسمية هذا الرُكن بعلم الحقيقة، واختص ببحثه السادة الصُّوفيَّة.[74]

وقد قالوا: "التَّصوُّف أوله علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة من الله تعالى" [75].

فالعبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج... لها شروط وأركان وواجبات، لابدَّ منها من حيث الشكل والظاهر، تؤدى وفق ما ذكره علماء الفقه، وهذا يمثِّل الجانب الشرعي العملي، فنقول: صَحَّت الصلاة شرعاً.

ولكن لهذه العبادات الشكلية روح تتمثل بالخشوع والحضور والإخلاص والمراقبة والمحاسبة... وهي أحوال ومشاعر وجدانية تتعلق بالقلب، وبوجودها يشعر الإنسان بحقيقة العبادة، فكما أن الإنسان يتكون من جسد وروح ولا يستطيع العيش بلا روح، فكذلك العبادات لا تكتمل إن لم تجتمع روحُها مع حركاتها. فروحُها هي الحقيقة وأفعالها وحركاتها هي الشَّريعة.

ومن هنا كان التلازم بين الشَّريعة والحقيقة كتلازم الروح مع الجسد بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر.

وتأتي الطريقة للربط بين الشَّريعة والحقيقة، ومثال ذلك المسافر الذي يريد أن يقطع الطريق ليصل إلى بُغيته، فالشَّريعة هي بداية الطريق، والطريقة هي سلوك الطريق، والحقيقة هي نهاية الطريق.

"فالشَّريعة هي الأساس، والطريقة هي الوسيلة، والحقيقة هي الثمرة، وهذه الأشياء الثلاثة متكاملة منسجمة فمن تمسَّك بالأولى منها سلك الثانية فوصل إلى الثالثة، وليس بينهما تعارض ولا تناقض"[76].

أما الشَّريعة، فتشتمل على الأحكام التكليفية الخمس - (الفرض والمندوب، والحرام والمكروه، والمباح) - وقد اختصت كتب الفقه وأصوله في بيانها وتفصيلها، وهي بالنسبة لكل مسلم أصول، ولا يسع المكلَّف أن يجهل أمراً أو نهياً هو مخاطب به أصلاً، بل يحرص الصُّوفيَّة على القيام بالسنن والابتعاد عن المكروه والتورُّع في المباحات. وإنما نحتاج لبيان معنى الطريقة والحقيقة.

وأما الطريقة فالمقصود بها تزكية النفس، وتزكية النفس تكون بمجاهدتها لتخليصها من صفاتها وأخلاقها الذميمة، وتعلقاتها الشهوانية الدنيَّة، وردّها إلى الاعتدال في إشباع الطبيعة البشريَّة، وترويضها حتى تنقاد للشرع أمراً ونهياً، ومع التخلية من الأوصاف الذميمة تأتي التحلية بالأوصاف الحسنة الكريمة، وينعكس ذلك كله على القلب ليصفو عمَّا سوى الله تعالى، فيكون صافيا صوفياً.

وإن أعدى أعداء المرء نفسه التي بين جنبيه، فهي تحثُّه على نيل كل لذة حتى وإن خالفت أمر الله وأمر رسوله ﷺ، فإن أطاع العبد نفسه، وانقاد لها؛ هلك. أما إن جاهدها، وزمّها بزمام الإيمان، وألجمها بلجام التقوى؛ فإنه يُرقِّي نفسه حتى تنقاد لأمر الله تعالى، ويسير بها إلى مدارج الكمال.

وأدلَّة مجاهدة النفس في الكتاب والسنة كثيرة منها: قال تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }[77]. قال الرازي: "أَيْ مَن جاهَدَ بِالطّاعَةِ هَداهُ سُبُلَ الجَنَّةِ"[78].

ونقل القرطبي أقوال العلماء في هذه الآية: "وَقَالَ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ فَرْضِ الْقِتَالِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: فَهِيَ قَبْلَ الْجِهَادِ الْعُرْفِيِّ، وَإِنَّمَا هُوَ جِهَادٌ عَامٌّ فِي دِينِ اللَّهِ وَطَلَبِ مَرْضَاتِهِ. قَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ: الْآيَةُ فِي الْعُبَّادِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: هِيَ فِي الَّذين يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ"[79].

وقال ابن جزيء: "يعني: جهاد النفس من الصبر على إذاية الكفَّار، واحتمال الخروج عن الأوطان وغير ذلك، وقيل: يعني القتال، وذلك ضعيف لأن القتال لم يكن مأموراً به حين نزول الآية"[80].

وقال الألوسي في تفسيره:" وأُطلِقَتِ المُجاهَدَةُ لِتَعُمَّ مُجاهَدَةَ الأعادِي الظّاهِرَةَ والباطِنَةَ بِأنْواعِهِما"[81].

ومن الآيات الدالَّة على مجاهدة النفس قوله تعالى: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ }[82]. نقل الرازي في تفسيره أقوال العلماء: "... قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: حَقَّ جِهَادِهِ: مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى. وَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ قَالَ: "رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ". وَالْأَوْلَى أَنْ يُحْمَلَ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ التَّكَالِيفِ، فَكُلُّ مَا أُمِرَ بِهِ وَنُهِيَ عَنْهُ فَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ جِهَادٌ"[83].

---

[73] الغماري، الانتصار لطريق الصُّوفيَّة الأخيار، ص 5.
[74] ينظر هذا التقسيم: الشيخ عبد القادر عيسى رحمه الله تعالى، حقائق عن التصوف، ص 381.
[75] السهروردي، عوارف المعارف، ص 68.
[76] عيسى، حقائق عن التصوف، ص 382.
[77] سورة العنكبوت: 69.
[78] الرازي، مفاتيح الغيب، 77/25.
[79] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 364/13.
[80] ابن جزي، التسهيل علوم التنزيل، 129/2.
[81] الألوسي، روح المعاني، 15/11.
[82] سورة الحج: 78.

وقال ابن جزيء: "وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ يحتمل أن يريد جهاد الكفار، أو جهاد النفس والشيطان أو الهوى، أو العموم في ذلك"[84].

قال الألوسي: "{ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ }[85].أيْ لِلَّهِ تَعالى أوْ في سَبِيلِهِ سُبْحانَهُ، والجِهادُ كَما قالَ الرّاغِبُ، اسْتِفْراغُ الوُسْعِ في مُدافَعَةِ العَدُوِّ وهو ثَلاثَةُ أضْرُبٍ. مُجاهَدَةُ العَدُوِّ الظّاهِرِ كالكُفّارِ ومُجاهَدَةُ الشَّيْطانِ ومُجاهَدَةُ النَّفْسِ، وهي أكْبَرُ مِن مُجاهَدَةِ العَدُوِّ الظّاهِرَةِ كَما يَشْعُرُ بِهِ ما أخْرَجَ البَيْهَقِيُّ[86] وغَيْرُهُ[87] عَنْ جابِرٍ رضي الله عنه، قالَ: قَدِمَ عَلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْمٌ غُزاةٌ فَقالَ: "قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، مِنَ الجِهادِ الأصْغَرِ إلى الجِهادِ الأكْبَرِ، قِيلَ وما الجِهادُ الأكْبَرُ؟ قالَ مُجاهَدَةُ العَبْدِ هَواهُ"[88]. وفي إسْنادِهِ ضَعْفٌ مُغْتَفَرٌ في مِثْلِهِ"[89].

وفي الحديث عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ لِلَّهِ". أَوْ قَالَ: "فِي اللهِ"[90].

المبحث الثالث: نشأة التَّصوُّف

التَّصوُّف في الإسلام هو امتداد للزهد الذي أسسه رسول الله ﷺ من خلال الوحي الإلهي المتمثل بالكتاب والسنة، والآيات والأحاديث التي تدعو للزهد وتحثُّ عليه هي في كتاب الله تعالى كثيرة، منها قول الله تعالى: { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ }[91].

ولقد كان هدي النبي ﷺ في حياته ومع أزواجه مثالاً عملياً على الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة.

إن مصطلح التَّصوُّف وإن لم يكن موجوداً في عصر النبي ﷺ ولا في عصر الصحابة رضي الله عنهم، ولكنَّ مفهومه ومعناه كان متمثلاً بالزهد وصفاء القلب الذي دعى إليه الإسلام.

ويؤكد ابن الجوزي على أن هذا الاسم لم يكن في زمن النبي ﷺ ولا في زمن الصحابة الكرام فيقول: "كانت النسبة فِي زمن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الإيمان والإسلام فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عَن الدنيا وانقطعوا إِلَى العبادة واتخذوا فِي ذلك طريقة تفردوا بِهَا وأخلاقا تخلقوا بِهَا... وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين"[92].

فالصحابة الكرام كانوا أهل تقوى وورع وزهد، وكانوا يتسابقون للخيرات اقتداء بالنبي ﷺ فلم يكونوا بحاجة إلى أن يُنشؤوا مصطلحاً علمياً يدل على منهج سلوكي هم بالأصل يقومون به، ومثال ذلك كالرَّجل العربي الذي تربَّى في البوادي العربية والتي تنطِق باللغة السليمة ذلك الوقت، فهذا العربي الفُح يتكلم العربية بالفطرة والسليقة وهو لا يعرف قواعد النحو والصرف، وكان ينظم أبياتاً من الشعر دن أن يحتاج لتعلم علم العروض، وكان يلقي الخُطبة على مسامع الناس في سوق عكاظ دون أن يحتاج لدراسة علم البلاغة والفصاحة، ولكنَّ وَضْعَ القواعد لهذه العلوم وتسمية مصطلحاتها أصبح شيء لازم، وضرورة لا بد منها عندما اختلط العرب بالعجم أيَّام الفتوحات، فبدأ يتفشَّى اللَّحن، وضعف التعبير، واختلَّت السليقة.

وما يقال في اللُّغة العربية يقال في علم التَّصوُّف بحق الصحابة رضي الله عنهم، فمَثَلُهُم كمثل ذلك الرجل الأعرابي الفُح، فلم يكونوا بحاجة إلى إحداث هذه التسمية لأنهم كانوا صوفيين عملياً دون حاجة إلى التسمية والمصطلحات.

لقد كانت حياة الصحابة والخلفاء الراشدين مصدراً للزهد الذي ورثوه من رسول الله ﷺ. ويضرب الطوسي المثل في زهد الصحابة عند الحديث عنهم في كتابه اللمع فيقول: "فمن ترك الدنيا كلها وخرج من جميع ما يملك فجلس على بساط الفقر والتجريد بلا عالقة، فإمامه أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، ومن أخرج بعضها وترك البعض لعياله ولصلة الرحم وأداء الحقوق فإمامه فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن جمع لله ومنع لله وأعطى لله وأنفق لله فإمامه فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن لا يحوم حول الدنيا، وإن جمعت عليه من غير طلبه رفضها وهرب منها فإمامه في ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[93].

ويمكن القول بأن هذا المصطلح لم يظهر في عصر الصحابة رضي الله عنهم لسببين:

1- لم تكن هناك حاجة لظهور هذه التسمية في عصر الصحابة لقربهم من رسول الله ﷺ واتصالهم به، فكان الزهد من أخلاقهم دون تكلُّف، بكونهم يعيشون مع رسول الله ﷺ مراتب الدِّين الثلاثة، الإسلام والإيمان والإحسان.

2- لقد نال الصحابة رضي الله عنهم شرف الصُحبة وحملوا هذا الاسم فأُطلق عليهم لفظ (الصحابة)، وليس هناك أشرف من هذه التسمية لتُستبدل بها، فهم صوفيون قولاً وفعلاً وحالاً، صحابيون تسميةً وفضلاً.

ويبيّن الطوسي هذا في ردِّه على من أنكر هذه التسمية فيقول: "إن سأل سائل فقال لم نسمع بذكر الصُّوفيَّة في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، ولا فيمن كان بعدهم ولا نعرف إلا العُبَّاد والزُّهاد والسائحين والفقراء، وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله

---

[83] الرازي، مفاتيح الغيب، 255/23.
[84] ابن جزي، التسهيل علوم التنزيل، 47/2.
[85] سورة الحج: 78.
[86] البيهقي، الزهد الكبير، ص 165، ح 373. وقال: هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ.
[87] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 685/5، ح 4590.
[88] قال العجلوني في كشف الخفاء: قال الحافظ ابن حجر في تسديد القوس هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عيلة، انتهى، وأقول الحديث في الإحياء قال العراقي رواه بسند ضعيف عن جابر ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر بلفظ قدم النبي ﷺ من غزاة فقال عليه الصلاة والسلام: قدمتم خير مقدم وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: مجاهدة العبد هواه، انتهى، والمشهور على الألسنة رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر دون باقيه فهيه اقتصار، انتهى. العجلوني، كشف الخفاء، 486/1.
[89] الألوسي، روح المعاني، 198/9.
[90] أحمد، المسند، 374/39، ح 23951.
الترمذي، سنن الترمذي، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا، 165/4، ح 1621. وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
ابن حبان، التقاسيم والأنواع، 285/1، ح 312.
[91] سورة آل عمران: 14.
[92] ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص 145-147.
[93] الطوسي، اللمع، ص 182.

ﷺ (صوفي)، فنقول بالله التوفيق: الصحابة مع رسول الله ﷺ لهم حرمة، وتخصيص لمن شمله ذلك، فلا يجوز أن يُعلَّق عليه اسم على أنه أشرف من الصُحبة، وذلك لشرف رسول الله ﷺ وحرمته"[94].

ويقول القشيري في أول رسالته: "اعلموا رحمكم اللَّه تَعَالَى أَن الْمُسْلِمِينَ بَعْد رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يتسمَّ أفاضلهم فِي عصرهم بتسمية علم سِوَى صحبة رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ لا فضيلة فوقها، فقيل لَهُمْ: الصَّحَابَة، ولما أدركهم أهل العصر الثَّانِي سُمِّي من صحب الصَّحَابَة (التابعون)، ورأوا ذَلِكَ أشرف سمة، ثُمَّ قيل لمن بعدهم أتباع التابعين ثُمَّ اختلف النَّاس وتباينت المراتب، فقيل لخواصّ النَّاس مِمَّن لَهُمْ شدة عناية بأمر الدِّين: الزُّهاد والعبَّاد، ثُمَّ ظهرت البدع وحصل التداعي بَيْنَ الفِرق، فَكُل فريق ادعوا أَن فيهم زهداً، فانفرد خواصُّ أهل السنَّة المراعون أنفاسهم مَعَ اللَّه تعالى، الحافظون قلوبهم عَن طوارق الغفلة باسم التَّصوُّف، واشتهر هَذَا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"[95].

إذاً لم يكن هذا المصطلح مشهوراً في عصر التابعين الَّذين ورثوا الزهد عن الصحابة، وكان أهله معروفون باسم الزُهَّاد والعُبَّاد والنُسَّاك، والبكَّائين.

ومن هؤلاء الزهاد مالك بن دينار المتوفى 131هـ، وإبراهيم بن الأدهم المتوفى 161هـ. وكان من أشهر الزهاد في عصر التابعين الحسن البصري المتوفى 110هـ.

وقد ألَّف علقمة بن مَرثد في القرن الثاني كتاباً سماه (زهد الثمانية من التابعين) وقال فيه: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين وهم:

1عامر بن عبد الله2- أويس القرني3- هرم بن حيان4- الربيع بن خيثم5- أبو مسلم الخولاني6- الأسود بن يزيد7- مسروق بن الأجدع8- الحسن البصري[96].

ثم بدأ لفظ الصُوفيَّة يظهر في منتصف القرن الثاني. وأوَّل من عُرف باسم صوفي عند المسلمين هو أبو هاشم الصوفي المتوفى قبل منتصف القرن الثاني[97]. ويؤكِّد ابن تيمية أنَّ أوَّل ظهور للتصوُّف كان بالبصرة، فيقول: "فإنه أول ما ظهرت الصُوفيَّة في البصرة"[98].

فمع تقادم العهد وانتشار الإسلام وتوسع الفتوحات اختلط المسلمون بشعوب وحضارات مختلفة، واطلعوا على ثقافات وعادات جديدة لم تكن في المجتمع الإسلامي، وكثرت الغنائم فانغمس بعض المسلمين بالملذَّات وأخذت المادة تتسلَّل إلى القلوب وحصل ما كان يخافه النبي ﷺ ويُحذِّر منه، حيث قال: "فوالله! ما الفقر أخشى عليكم. ولكني أخشى عليكم أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم. فتنافسوها كما تنافسوها. وتهلككم كما أهلكتهم"[99].

فكان للفتوحات الإسلامية دور في الانفتاح على الدنيا وزخارفها، وكَرَدِّ فعلٍ أمام هذا الانفتاح الباهر والانغماس المُخيف، كان لابدَّ من أن يقف المسلمون في وجه هذا التحوّل ليُعيدوا المسلمين إلى جادَّة الصواب.

فبالقدر الذي مال فيه الناس للدنيا كان هناك حاجة إلى من يشدُّهم إلى الآخرة ويُزهِّدهم بالدنيا، ليكون الاعتدال والتوازن بين الروح والجسد.

ويوضِّح لنا السهروردي نقطة التحول التي بدأت بعد وفاة رسول الله ﷺ ومعظم الصحابة الكرام فيقول: "لما تقادم زمان الرسالة، وبعد عهد النبوة، وانقطع الوحي السماوي، وتوارى النور المصطفوي، واختلفت الآراء وتنوعت الأنحاء، وتفرَّد كل ذي رأي برأيه، وكدَّر شرب العلوم شروب الأهوية، وتزعزعت أهوية المتقين، واضطربت عزائم الزاهدين، وغلبت الجهالات وكثف سحابها، وكثرت العادات وتملكت أربابها، وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها"[100].

ويوضح ابن خلدون كيف نشأ هذا المصطلح فيقول عن علم التَّصوُّف: "هذا العلم من العلوم الشّرعيّة الحادثة في الملّة وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمّة وكبارها من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والزّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عامّا في الصّحابة والسّلف. فلمّا فشا الإقبال على الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده وجنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا، اختصّ المقبلون على العبادة باسم الصُّوفيَّة والمتصوّفة".[101]

ويُصوِّر لنا الندوي الحالة التي كان عليها المجتمع الإسلامي مما استدعى ضرورة انتشار علم التَّصوُّف لعلاج التراجع الخلقي والبعد الدِّيني والانشغال بالدنيا عن الآخرة، فيقول : "وضعفت صلة القلوب بالله، والحياة بالروح، والمجتمع بالأخلاق، وفُقد الإخلاص والاحتساب، وانتشرت الأمراض الباطنية، واعتلَّت القلوب والنفوس، وفقد الطبيب وتكالب الناس على حطام الدنيا، وتنافس أهل العلم في الجاه والمال والمنصب، وغلب عليهم الطمع والطموح، وتعطَّلت شعبة من أهم شعب النبوة ونيابتها، وهي تزكية النفوس والدعوة إلى الإحسان وفقه الباطن"[102].

كما أن الظروف السياسية كان لها دور في نشوء هذا العلم، فمع انتشار الفتن منذ مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما، ثم تتابعت الحوادث والفتن بين المسلمين، كل هذا جعل بعض المسلمين يفضِّلون الانعزال والابتعاد عن الفتن وإراقة الدماء، والانشغال بالعبادة والزهد بالدنيا.

---

[94] المرجع السابق، ص 42.
[95] القشيري، الرسالة القشيرية، 34/1.
[96] علقمة بن مرثد، زهد الثمانية من التابعين، ص 38.
[97] القاسم، الكشف عن حقيقة الصُوفيَّة لأول مرة في التاريخ، ص 745..
[98] ابن تيمية، الصُوفيَّة والفقراء، ص15.
[99] البخاري، كتاب الرقاق، بَاب: مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فيها، 2361/5، ح 6061.
مسلم، كتاب الزهد والرقائق، 2273/4، ح 2961.
[100] السهروردي، عوارف المعارف، ص 66.
[101] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 611/1.
[102] الندوي، ربانية لا رهبانية، ص 16.

وعندما اتسعت دائرة العلوم، وتقسَّمت بين أهل الاختصاص قام العلماء بتدوينها، كعلم اللغة العربية والفقه والحديث والتفسير وغير ذلك من العلوم، وأصبحت هناك حاجة لتدوين علم التَّصوُّف في وقت ضعف فيه التأثير الروحي وقويت فيه دواعي النفس. وكان هذا التنافس يزداد شيئا فشيء، وخاصَّة بعد القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخيرية.

ولقد كان القرن الثالث هو العصر الذي تميَّز بتدوين العلوم، وكان لعلم التَّصوُّف نصيب من التدوين، ثم تطوَّر التدوين على مرّ العصور. يقول ابن خلدون: "فلمّا كتبت العلوم ودوّنت وألّف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتّفسير وغير ذلك، كتب رجال من أهل هذه الطّريقة في طريقهم... وصار علم التَّصوُّف في الملّة علما مدوّنا بعد أن كانت الطّريقة عبادة فقط، وكانت أحكامها إنّما تتلقّى من صدور الرّجال كما وقع في سائر العلوم الّتي دوّنت بالكتاب من التّفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك"[103].

فقد هيأ الله تعالى لهذه الأُمَّة رجالاً دعاةً صادقين، وعلماء عاملين لم تغرهم الدنيا بزخارفها ولم تستحوذ عليهم بشهواتها بل قاموا يحذِّرون الناس من الوقوع في شباكها والانجراف وراء مغرياتها، وعرف هؤلاء الزُّهَّاد العبَّاد بالصُّوفيَّة الَّذين دونوا علم التَّصوُّف.

ولم يكن هؤلاء القوم بمنأى عن المجتمع، ولم يكونوا يعتزلون الناس ويسكنون في قمم الجبال والكهوف، بل كانوا علماء ربانيين يأخذون بأسباب الدنيا ويكسبون من الحلال ويتزوجون ويعيلون أهلهم وأرحامهم، والألقاب التي اشتهروا بها تدل على ذلك، فمنهم الأستاذ ومنهم النجار والحداد والخواص والزجَّاج والدبَّاغ والنسَّاج، ولكنهم تميزوا عن غيرهم بأن الدنيا لم تكن في قلوبهم بل جعلوها في أيديهم.

المبحث الرابع: الحقيقة لا تنفصل عن الشَّريعة

يُعرّف السيد الجرجاني الطريقة بقوله: "الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات"[104].

ويقول الشيخ عبد الله اليافعي رحمه الله تعالى في بيان معنى الحقيقة: "إن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية، ولها طريقة هي عزائم الشَّريعة، فمن سلك الطريقة وصل إلى الحقيقة، فالحقيقة نهاية عزائم الشَّريعة، ونهاية الشيء غير مخالفة له، فالحقيقة غير مخالفة لعزائم الشَّريعة"[105].

ويعرِّف ابن عابدين الطريقة والحقيقة في حاشيته فيقول: "الطَّرِيقَةُ: هِيَ السِّيرَةُ الْمُخْتَصَّةُ بِالسَّالِكِينَ إلَى اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ قَطْعِ الْمَنَازِلِ وَالتَّرَقِّي فِي الْمَقَامَاتِ..." ثم يتكلم عن الحقيقة فيقول: "هِيَ مُشَاهَدَةُ الرُّبُوبِيَّةِ بِالْقَلْبِ، وَيُقَالُ هِيَ سِرٌّ مَعْنَوِيٌّ لَا حَدَّ لَهُ وَلَا جِهَةَ"[106].

فالطريقة المتمثلة بمجاهدة النفس وترويضها للوقوف عند الأمر والنهي هي الجسر الواصل بين الشَّريعة والحقيقة.

وهذا الارتباط بين الشَّريعة والحقيقة أكَّده كبار علماء هذه الأمة كما حذَّروا من خطورة الفصل بينهما.

وقال أَبُو يَزِيد البسطامي: "لو نظرتهم إِلَى رجل أعطي من الكرامات حَتَّى يرتقي فِي الهواء فلا تغتروا بِهِ حتي تنظروا كَيْفَ تجدونه عِنْدَ الأمر والنهى وحفظ الحدود وأداء الشَّريعة"[107].

قَالَ سهل التستري: "أصولنا سَبْعَة أَشْيَاء التَّمَسُّك بِكِتَاب الله تَعَالَى والاقتداء بِسنة رَسُوله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأكل الْحَلَال وكف الْأَذَى وَاجْتنَاب الآثام وَالتَّوْبَة وَأَدَاء الْحُقُوق"[108].

وقَالَ أَبُو سَعِيد الخرَّاز: "كُل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل"[109].

وقال الجنيد: "مذهبنا هَذَا مقيَّد بأصول الكتاب والسنة". وَقَالَ أيضاً: علمنا هَذَا مشيَّد بحَدِيث رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[110].

وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْن الوراق: "لَا يصل العَبْد إِلَى الله إِلَّا بِاللَّه وبموافقة حَبِيبه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي شرائعه وَمن جعل الطَّرِيق إِلَى الْوُصُول فِي غير الِاقْتِدَاء يضل من حَيْثُ يظنّ أَنه مهتد"[111].

وقَالَ النصراباذي: "أصل التَّصوُّف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية أعذار الخلق، والمداومة عَلَى الأوراد وترك ارتكاب الرخص والتأويلات"[112].

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: "كل حقيقة لا تشهد لها الشَّريعة فهي زندقة، طِر إلى الحق عزَّ وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول ﷺ"[113]. وفي انكاره على من يزعم سقوط التكاليف الشرعية عن سالك الطريق، يقول: "ترك العبادات المفروضة زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض عن أحد في حال من الأحوال"[114].

ويقول الشيخ أحمد الرفاعي: "لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة نحن أهل الباطن وهم أهل الظاهر هذا الدِّين الجامع باطنه لب ظاهره، وظاهره ظرف باطنه، لولا الظاهر لما كان الباطن ولَمَا صحَّ. القلب لا يقوم بلا جسد بل لولا الجسد لفسد، والقلب نور الجسد. هذا العلم الذي سماه بعضهم بعلم الباطن هو إصلاح القلب فالأول عمل بالأركان وتصديق بالجنان. إذا انفرد قلبك بحسن نيته وطهارة

[103] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 613.
[104] الجرجاني، التعريفات، ص 141.
[105] اليافعي، نشر المحاسن الغالية، 154/1.
[106] ابن عابدين، رد المحتار، 239/4.
[107] القشيري، الرسالة القشيرية، 58/1.
[108] السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص 170.
[109] القشيري، الرسالة القشيرية، 98/1.
[110] القشيري، الرسالة القشيرية، 79/1.
[111] السلمي، طبقات الصُّوفيَّة، ص 230.
[112] القشيري، الرسالة القشيرية، 145/1.
[113] الجيلاني، الفتح الرباني، ص 29.
[114] المرجع السابق.

طويته وقتلت وسرقت وزنيت وأكلت الربا وشربت الخمر وكذبت وتكبرت وأغلظت القول فما الفائدة من نيتك وطهارة قلبك؟ وإذا عبدت الله وتعففت وصمت وصدقت وتواضعت وأبطن قلبك الرياء والفساد فما الفائدة من عملك؟"[115].

وقال أيضاً:" كل حقيقة ردتها الشَّريعة فهي زندقة إذا رأيتم شخصا تربع في الهواء فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي"[116].

وقال الشيخ أبو الحسن الشَّاذلي: "إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام"[117].

ويقول الشيخ أحمد زرُّوق: "فلا تصوف بلا فقه، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهر إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه، ولا هما إلا بإيمان، إذا لا يصح واحدٌ منهما بدونه، فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم، كتلازم الأرواح للأجساد، إذ لا وجود لها إلا فيها، كما لا كمال له إلا بها فافهم"[118].

وقال أيضاً: "وكل شيخ لم يظهر بالسنة فلا يصح اتِّباعه لعدم تحقق حاله، وإن صح في نفسه وظهر عليه ألف ألف كرامة من أمره"[119].

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني: "إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعي في كل حركة وسكوت"[120].

وقال أيضاً: "إن حقيقة طريق القوم علم وعمل، سداها ولحمتها شريعة وحقيقة، لا أحدهما فقط"[121].

وقال أيضاً في الصوفي: "هو الذي يأخذ كتاب الله بيمينه وسنة رسوله بشماله وينظر بإحدى عينيه إلى الجنة وبالأخرى إلى النار ويأتزر بالدنيا ويرتدي بالآخرة ويلبي من بينهما للمولى: لبيك اللهم لبيك)[122].

ويقول ابن عابدين الفقيه الحنفي في حاشيته: "الطَّرِيقَةُ: هِيَ السِّيرَةُ الْمُخْتَصَّةُ بِالسَّالِكِينَ إلَى اللَّهِ تَعَالَى: مِنْ قَطْعِ الْمَنَازِلِ وَالتَّرَقِّي فِي الْمَقَامَاتِ..." ثم يتكلم عن الحقيقة فيقول: "هِيَ مُشَاهَدَةُ الرُّبُوبِيَّةِ بِالْقَلْبِ، وَيُقَالُ هِيَ سِرٌّ مَعْنَوِيٌّ لَا حَدَّ لَهُ وَلَا جِهَةَ، وَهِيَ وَالطَّرِيقَةُ وَالشَّرِيعة مُتَلَازِمَةٌ، لِأَنَّ الطَّرِيقَ إلَى اللَّهِ تَعَالَى لَهَا ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ؛ فَظَاهِرُهَا الشَّرِيعة وَالطَّرِيقَةُ وَبَاطِنُهَا الْحَقِيقَةُ فَبُطُونُ الْحَقِيقَةِ فِي الشَّرِيعة وَالطَّرِيقَةِ كَبُطُونِ الزُّبْدِ فِي لَبَنِهِ لَا يُظْفَرُ مِنْ اللَّبَنِ بِزُبْدِهِ بِدُونِ مَخْضِهِ، وَالْمُرَادُ مِنْ الثَّلَاثَةِ إقَامَةُ الْعُبُودِيَّةِ عَلَى الْوَجْهِ الْمُرَادِ مِنْ الْعَبْدِ"[123].

ولقد جمع علماء الشَّريعة الإسلامية من الفقهاء والمحدثين بين الشَّريعة والطريقة والحقيقة مقتفين بذلك أثر النبي ﷺ، فقد نقل الحصكفي الفقيه الحنفي صاحب الدر المختار: "أن أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى قال: أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصر آباذي وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي وهو من السري السقطي وهو من معروف الكرخي وهو من داود الطائي وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة رضي الله عنه وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله..." ثم قال صاحب الدر معلقا: "فيا عجبا لك يا أخي! ألم تكن لك أسوة حسنة في هؤلاء السادات الكبار؟ أكانوا متهمين في هذا الإقرار والافتخار وهم أئمة هذه الطريقة وأرباب الشَّريعة والحقيقة؟ ومن بعدهم في هذا الأمر فلهم تبع وكل ما خالف ما اعتمدوه مردود مبتدع"[124].

ثم يُعلِّق ابن عابدين رحمه الله تعالى في حاشيته على كلام صاحب الدُّر السابق في حديثه عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى فيقول: "هو فارس هذا الميدان فإن مبنى علم الحقيقة على العلم والعمل وتصفية النفس وقد وصفه بذلك عامَّة السلف فقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في حقه: إنه كان من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد ولقد ضرب بالسياط ليلي القضاء فلم يفعل. وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: ليس أحد أحق أن يُقتدى به من أبي حنيفة لأنَّه كان إماما تقيًّا نقيًّا ورعا عالما فقيها، كشف العلم كشفاً لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتُقى. وقال الثوري لمن قال له: جئت من عند أبي حنيفة: لقد جئت من عند أعبد أهل الأرض"[125].

وبهذا يتبن أن الأئمة الصادقين والعلماء العاملين كانوا يجمعون بين الشَّريعة والحقيقة.

وهذا التمسك بالكتاب والسنة عند الصُّوفيَّة قد أكَّده ابن تيمية فقال مدافعاً عنهم: "والشيخ عبد القادر [يقصد الجيلاني] ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمر بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمه على الذوق والقدر، ومن أعظم المشايخ أمرا بترك الهوى والإرادة النفسية. فإن الخطأ في الإرادة من حيث هي إرادة إنما تقع من هذه الجهة؛ فهو يأمر السالك ألا تكون له إرادة من جهة هواه أصلا؛ بل يريد ما يريده الرب عز وجل: إما إرادة شرعية إن تبين له ذلك؛ وإلا جرى مع الإرادة القدرية فهو إما مع أمر الرب، وإما مع خلقه، وهو سبحانه له الخلق والأمر. وهذه طريقة شرعية صحيحة"[126].

ويقول أيضاً: "فأما المستقيمون من السالكين كجمهور مشايخ السلف: مثل الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والسري السقطي والجنيد بن محمد وغيرهم من المتقدمين، ومثل الشيخ عبد القادر والشيخ حماد والشيخ أبي البيان

[115] الرفاعي، البرهان المؤيد، ص 29.
[116] المرجع السابق، 49.
[117] ابن عجيبة، إيقاظ الهمم شرح الحكم، 2/302-303.
[118] زروق، قواعد التصوف، ص 22.
[119] المرجع السابق.
[120] الشعراني، لطائف المنن والأخلاق، ص5.
[121] المرجع السابق، 25/1.
[122] البدوي، شطحات الصُّوفيَّة، ص 96.
[123] ابن عابدين، رد المحتار، 239/4.
[124] الحصكفي، الدر المختار، ص 14.
[125] ابن عابدين، رد المحتار، 60/1.
[126] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 489/10.

وغيرهم من المتأخرين. فهم لا يسوغون للسالك ولو طار في الهواء أو مشى على الماء أن يخرج عن الأمر والنهي الشرعيين بل عليه أن يفعل المأمور ويدع المحظور إلى أن يموت وهذا هو الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف. وهذا كثير في كلامهم"[127].

وفي هذا الكلام لابن تيمية لجم لأفواه أتباعه الَّذين يتهمون الصُّوفيَّة بإسقاط أحكام الشَّريعة والبعد عن الكتاب والسنة.

فإن سأل أحدهم فقال: لطالما التَّصوُّف بهذه الأهمية فلِمَ لم يُصنِّف فيه الأئمة المجتهدون كتبا!

وفي الجواب على ذلك يقول الإمام الشعراني رحمه الله تعالى: "إنما لم يضع المجتهدون في ذلك كتابا لقلة الأمراض في أهل عصرهم وكثرة سلامتهم من الرياء والنفاق ثم بتقدير عدم سلامة أهل عصرهم من ذلك فكان ذلك في بعض أناس قليلين لا يكاد يظهر لهم عيب، وكان معظم همة المجتهدين إذ ذاك إنما هي في جمع الأدلة المنتشرة في المدائن والثغور مع أئمة التابعين وتابعيهم التي هي مادة كل علم وبها تعرف موازين جميع الأحكام، فكان ذلك أهم من الاشتغال بمناقشة بعض أناس في أعمالهم القلبية التي لا يظهر بها شعار الدِّين، ولا يقول عاقل قط: إن مثل الإمام أبي حنيفة أو مالك او الشافعي أو أحمد رضي الله عنهم يعلم أحدهم من نفسه رياء أو حسدا أو نفاقا ثم لا يجاهد نفسه ولا يناقشها أبدا، ولولا أنهم يعلمون سلامتهم من تلك الآفات والأمراض لقدَّموا الاشتغال بعلاجها على كل علم"[128].

ثم إن هؤلاء الأئمة المجتهدين رحمهم الله تعالى قد شهدوا لهذا العلم وأهله.

أمَّا الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى، فقد مرَ بنا قول الحصكفي فيه، وأنه كان يعطي تلامذته الشَّريعة مع الحقيقة، كما وصفه ابن عابدين في حاشيته بأنه فارس هذا الميدان.

وأمَّا الإمام مالك رحمه الله تعالى، فقد كان يحذر من الفصل بين الشَّريعة والحقيقة فيقول: "من تفقَّه ولم يتصوَّف فقد تفسق، ومن تصوَّف ولم يتفقَّه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقَّق".[129]

فمن وقف عند ظاهر العبادات بحركاتها وجسمها، وغفل عن روحها وسرها، لم يصل نورها إلى قلبه ليمنعه من الوقوع في المخالفات. ففقهه لم يمنعه من الوقوع في أفعال الفاسقين.

ومن ادعى الوصول للحقيقة وتركَ العمل بالأمر والنهي، فقد عطَّل الأحكام وجرَّد الحقيقة عن الشَّريعة، وادعى علم الباطن مع مخالفته للشريعة في الظاهر، فهو كالزنديق في حربه للدين.

ومن جمع بين الشَّريعة والحقيقة فقد استكمل أركان الدِّين الثلاثة (الإسلام والإيمان والإحسان)

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "صَحِبْتُ الصُّوفيَّة. فَمَا انْتَفَعْتُ مِنْهُمْ إلَّا بِكَلِمَتَيْنِ، سَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: الْوَقْتُ سَيْفٌ. فَإِنْ قَطَعْتَهُ وَإِلَّا قَطَعَكَ. وَنَفْسُكَ إنْ لَمْ تَشْغَلْهَا بِالْحَقِّ، وَإِلَّا شَغَلَتْكَ بِالْبَاطِلِ". وبعد أن ينقل ابن القيم هذا القول عن الشافعي يقول: "قُلْتُ: يَا لَهُمَا مِنْ كَلِمَتَيْنِ، مَا أَنْفَعَهُمَا وَأَجْمَعَهُمَا، وَأَدَلَّهُمَا عَلَى عُلُوِّ هِمَّةِ قَائِلِهِمَا، وَيَقَظَتِهِ"[130].

ونقل العجلوني في كشف الخفاء قول الإمام الشافعي: "وأنا حبّب إلي من دنياكم ثلاث: ترك التكلف، وعشرة الخلق بالتلطف، والاقتداء بطريق أهل التَّصوُّف"[131].

وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى قَبْلَ مصاحبته للصوفية يقول لولده عبد الله رحمه الله تعالى: "يا ولدي عليك بالحديث وإيَّاك ومجالسة هؤلاء الَّذين سموا أنفسهم صوفية، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه، فلما صحب أبا حمزة البغدادي الصوفي، وعرف أحوال القوم، أصبح يقول لولده: يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة والخشية والزهد، وعلو الهمة"[132].

وقَالَ عَنْ الصُّوفيَّة: "لَا أَعْلَمُ أَفْوَامًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ، قِيلَ إنَّهُمْ يَسْتَمِعُونَ وَيَتَوَاجَدُونَ، قَالَ دَعُوهُمْ يَفْرَحُونَ مَعَ اللَّهِ سَاعَةً"[133].

الخاتمة

لقد تبيَّن لنا من خلال هذا البحث أنَّ التصوُّف ليس بشيء مُبتدع في الدِّين، بل هو المنهج العملي للإسلام ظاهراً وباطناً، أما ظاهراً فبالتمسك بالشَّريعة والوقوف عند الأمر والنهي، وأما باطناً فبطهارة القلب وتزكية النفس، والسعي للوصول إلى مقام الإحسان، فإذا فهمنا التصوف بهذا المعنى لم يبقَ أيَّ مبرر لأعداء التصوُّف لنقده والطعن فيه.

فجدير بكل مسلم مُنصف أن يسير مع هذا الركب، خاصة في هذا الزَّمان، حيث سيطرت المادَّة وجفَّت منابع الروح، ولن يجد الإنسان سبيلاً ليعيش سعيداً إلَّا بالتَّمسُّك بالشَّريعة، والتحقق بالحقيقة، حتى يصفو القلب وتزكو النفس ونكون من الَّذين قال الله تعالى فيهم: { يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الشعراء]

[127] المرجع السابق، 517/10.
[128] الشعراني، لطائف المنن والأخلاق، ص42.
[129] القاري، شرح عين العلم وزين الحلم، 33/1.
[130] ابن القيم، مدارج السالكين، 125/3.
[131] العجلوني، كشف الخفاء، 394/1.
[132] الكردي، تنوير القلوب، ص 405.
[133] السفاريني، غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، 156/1.

فهرس المراجع

1. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، عز الدِّين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
2. ابن الجوزي، جمال الدِّين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ-٢٠٠م
3. ابن الجوزي، تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م
4. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
5. ابن تيمية، أحمد بن تيمية (ت 728هـ)، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة – السعودية،١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
6. ابن تيمية، الصُّوفيَّة والفقراء، تقديم محمد جميل غازي، دار المدني: القاهرة
7. ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ
8. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي (ت ٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان: التقاسيم والأنواع، المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
9. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تقريب التهذيب، حققه: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م
10. ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المحقق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م
11. ابن خلدون عبد الرحمن بن بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)، [العِبَر] وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
12. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدِّين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١
13. ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت ٢٤٠هـ)، طبقات خليفة بن خياط، المحقق: د سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
14. ابن عابدين، محمد أمين، الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ)، حاشية رد المحتار، على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية ١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦م
15. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ
16. ابن مرثد، علقمة بن مرثد (ت120هـ)، زهد الثمانية من التابعين، رواية ابن أبي حاتم (327هـ)، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، 1408هـ.
17. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١
18. أبونعيم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م
19. أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (ت١٦٤ - ٢٤١ هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
20. الألوسي، شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ
21. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
22. البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد وذيوله، دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ
23. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، الزهد الكبير، المحقق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٩٦م

24. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: مجموعة من العلماء، مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م

25. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، يتيمة الدهر، المحقق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

26. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

27. الجيلاني، عبد القادر الجيلاني، (561هـ)، الفتح الرباني والفيض الرحماني، تحقيق: د. أحمد عبد الرحيم السايح، الثقافة الدِّينية، القاهرة.

28. الحصكفي، محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن الحنفي الحصكفي (ت ١٠٨٨ هـ)، الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، حققه وضبطه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

29. الذهبي، شمس الدِّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه د بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

30. الذهبي، العبر في خبر من غبر، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١

31. الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

32. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدِّين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

33. الرازي، محمد بن أبي بكر شمس الدِّين الرازي (660هـ)، حدائق الحقائق، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مكتبة الثقافة الدِّينية، الطبعة: الأولى، 1422هـ-2002م

34. زرُّوق، أحمد بن محمد بن عيسى، المعروف بابن زرُّوق الإمام العلّامة الصّوفي (ت 899هـ) تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الثانية، 1426هـ-2005م

35. السبكي، تاج الدِّين عبد الوهاب بن تقي الدِّين السبكي (ت ٧٧١هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ

36. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ

37. السلمي، محمد بن الحسين بن محمد النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ)، طبقات الصُّوفيَّة، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١هـ ١٩٩٨م

38. السمعاني، أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هـ)، الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند، الطبعة: الأولى (ت١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م)

39. السهروردي، أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري الملقب شهاب الدِّين السهروردي، (ت632هـ)، عوارف المعارف، مكتبة الثقافة الدينية - 2006م

40. السيوطي، جلال الدِّين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

41. السيوطي، حسن المحاضرة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧ م

42. الشعراني، أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني (973هـ)، لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، دار الكتب العلمية، بيروت.

43. صقر، حامد إبراهيم محمد صقر، نور التحقيق في صحة أعمال الطريق، دار التأليف، مصر، الطبعة: الثانية، 1390هـ-1970م.

44. الطوسي، أبو نصر السراج الطوسي (ت 378هـ)، اللمع، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، 1380هـ-1960م

45. العجلوني، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (ت ١١٦٢هـ)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

46. عيسى، عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، دار العرفان، حلب، الطبعة: السادسة، 1428هـ-2007م

47. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدِّين، دار المعرفة – بيروت، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١

48. الغزالي، المنقذ من الضلال، دار الكتب الحديثة، مصر، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١

49. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية – بيروت، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١هـ

50. القاري، ملا على الهروي القاري (ت1014)، شرح عين العلم وزين الحلم، إدارة الطباعة المنيرية بمصر، الطبعة: الأولى، 1351هـ.

51. القاسم، محمود عبد الرؤوف القاسم، الكشف عن حقيقة الصُّوفيَّة لأول مرة في التاريخ، دار الصحابة، بيروت، ط1، 1408 هـ-1987م.

52. القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (671هـ)، تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

53. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١

54. الكردي، محمد أمين الكردي، (ت 1332هـ)، تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة: التاسعة، 1372هـ.

55. الكلاباذي، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت ٣٨٠هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١

56. مخلوف، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (ت ١٣٦٠هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

57. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم - ت عبد الباقي، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥م

58. الندوي، أبو الحسن، ربانية لا رهبانية، دار الفتح، بيروت، الطبعة: الأولى، 1386هـ- 1966م.